

الفقه والفقهاء فى الاندلس

على اصغر جشتى صابرى

عرفت ارض اندلس - منذ قديم بالفقه والأدب ، فنشأ بها كبار الفقهاء، والقضاة والمحدثين، والمفسرين، والخطباء، والشعراء وغير ذلك من فطاحل العلماء والاعلام فى كل ميدان وفاق اهلها بجدهم وجهدهم - ويبرهن على كل ذلك ما خلفوا من الكتب والمؤلفات القيمة -

ومن العسير جدا استقصاء فقهاء اندلس وأعمالهم فى هذا المقال الموجز فهم يعدّون بالأمثات والالوف، وانما اكتفى بذكر بعض المعروفين منهم وسأتحدث عن مكانتهم العلمية وعن مؤلفاتهم، كما سأذكر آراء كبار اهل العلم فى هؤلاء -

مذهب اهل الاندلس :

اما اهل الاندلس ، فقد كان يغلب عليهم مذهب الأوزاعى، ولكن لم يلبثوا الا قليلا، حتى صاروا مالكيين بعد الماتين من الهجرة. وقد اخذ المذهب المالكى فى استيلاء الفكرى على تلك البقاع عندما جاء اليها تلاميذ - مالك الذين التقوا به كزياد بن عبدالرحمن

والمغازى بن قيس وغيرهما - فنشروا المذهب ، ثم الأمير هشام بن عبدالرحمن الفاتح، فحمل الناس عليه(١) .
 وجاء فى نفع الطيب انه اول من أدخل المذهب المالكي فى الاندلس هو زياد بن عبدالرحمن (م ١٩٣هـ)، وذلك ان جماعة كان هو فيهم رحلوا الى الحج فى عهد هشام بن عبدالرحمن ، والتقوا بمالك ، فلما عادوا، وصفوا مكانته فى الحجاز، ومكانه من العلم، فذاع خبره فى الاندلس، وانتشر علمه، وكان رأس الجماعة زيادا هذا - ولقبه شبطون، وهو الذى أدخل المؤطا بها فأخذه عنه، يحيى بن يحيى، ولقد بلغ الامويين ثناء من مالك على حكمهم فى وقت لم يكن على ارتياح تام بالعباسيين ، فحملوا الناس على علمه، ولعل ذلك كان من الزلفى للجمهور، اذ قدره أو زلفى له، ليذكرهم بالخير - او ليستمر على ذكرهم به - (٢).

ولقد استوثق المذهب من أمر الدولة فى عهد الحكم بن هشام، وذلك ان يحيى بن يحيى كان مكينا عنده مقبول القول فكان لا يولى القضاء الا من اشار به فانتشر بالقضاء -

مذهب الامام مالك وسبب انتشاره فى الاندلس :

كان معظم اهل الاندلس يقلدون مذهب امام اهل المدينة - قال ابن خلدون : اختص بمذهب مالك رحمه الله اهل المغرب والاندلس، وان كان يوجد فى غيرهم، الا انهم لم يقلدوا غيره الا فى القليل لما ان رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق فى طريقهم، فاقترضوا عن الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وامامهم مالك - وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده، فرجع اليه اهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته -

وايضا فالبداوة كانت غالبية على اهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا الى اهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم - ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب - (٣). قال ابن خلدون : ولما صار مذهب كل امام علما مخصوصا عند أهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في اللاحق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول المقررة من مذاهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير أو التفرقة واتباع مذهب امامهم فيهما ما استطاعوا ، وهذه الملكة لهم علم الفقه لهذا العهد وأهل المغرب جميعا مقلدون لمالك رحمه الله (٤) .

الفرق بين الواضحة و ,,العتبية,, و ,,المدونة,, واعتماد اهل الاندلس ,,بالعتبية,, :

قد كان تلاميذ الامام (مالك) افرقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسماعيل وطبقته مثل ابن خوزمنداد و ابن اللبان والقاضي ابي بكر الابهرى والقاضي ابي حسين بن القصار والقاضي عبدالوهاب ومن بعدهم - وكان بمصر ابن القاسم و اشهب و ابن عبدالحكم والحارث بن مسكين وطبقتهم - ورحل من الاندلس عبدالملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتبي من تلامذته كتاب العتبية ورحل من افريقية أسد بن الفرات فكتب عن اصحاب ابي حنيفة اولاً ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر ابواب الفقه - وجاء الى القيروان بكتابه وسمى الاسدية نسبة الى أسد بن الفرات، فقرأ بها سحنون على أسد ثم ارتحل الى المشرق ولقى

ابن القاسم واخذ عنه، وعارضه بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها -
وكتب سحنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه، وكتب لأسد ان
يأخذ بكتاب سحنون فانف من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة
سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل فى الابواب - فكانت
تسمى المدونة والمختلطة - وعكف اهل القيروان على هذه المدونة -
وأهل الاندلس على الواضحة والعتبية ثم اختصر ابن ابى زيد المدونة
والمختلطة فى كتابه المسمى بالمختصر ولخصه ايضا ابو سعيد
البرداعى من فقهاء القيروان فى كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده
المشيخة من اهل افريقية واخذوا به وتركوا ماسواه - وكذلك اعتمد
اهل الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها - ولم تزل
علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات بالشرح والايضاح والجمع،
فكتب اهل افريقية على المدونة ما شاء الله ان يكتبوا مثل ابن يونس
واللخمي وابن محرز التونسي وابن بشير وامثالهم - وكتب اهل
الاندلس على العتبية ماشاء الله ان يكتبوا مثل ابن رشد وامثاله - وجمع
ابن ابى زيد جميع ما فى الامهات من المسائل والخلاف والاقوال فى
كتاب النوادر، فاشتمل على جميع اقوال المذاهب وفرع الامهات
كلها فى هذا الكتاب - ونقل ابن يونس معظمه فى كتابه على المدونة،
وذخرت بحار المذهب المالكي فى الأفقيين الى انقراض دولة قرطبة
والقيروان، ثم تمسك بهما اهل المغرب بعد ذلك الى ان جاء كتاب
ابى عمرو بن الحاجب، لخص فيه طرق اهل المذاهب فى كل باب
وتعديد اقوالهم فى كل مسألة فجاء كالبرنامج للمذهب وكانت الطريقة
المالكية بقيت فى مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن المشير وابن
الليث وابن الرشيق وابن شاش - (٥) .

والذين اخذوا المذهب المالكي من فقهاء المدينة ومصر ورجعوا
به الى القرطبة ودرّسوه وقاموا بدور عظيم فى انتشاره - منهم - يحيى

بن يحيى الليثى المصمودى الذى اخذ المؤطا من صاحبه الامام مالك
(رحمه الله).

(١) يحيى بن يحيى الليثى :

هو ابو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس - وقيل وسلاس -
ابن شمال بن منعايا الليثى ، أصله من البربر من قبيلة يقال لها
مصمودة، تولى بنى ليث فنسب اليهم، وجدّه كثير يكنى ابا عيسى ، وهو
الداخل الى الاندلس - وسكن قرطبة - (٦) .

سمع يحيى بقرطبة من زياد بن عبدالرحمن بن زياد اللخمي
المعروف بشبطون القرطبي ، مؤطا، مالك بن انس رضى الله عنه،
وسمع من يحيى ابن مضر القيسى الاندلسى، ثم رحل الى المشرق وهو
ابن ثمان وعشرين سنة، فسمع من مالك بن انس ، مؤطا، غير ابواب
فى كتاب الاعتكاف، شك فى سماعه فيها، فاثبت روايته فيها عن
زياد ، وسمع بمكة من سفيان بن عينية، وبمصر من الليث بن سعد
وعبدالله بن وهب وعبدالرحمن بن القاسم، وتفقه بالمدينين والمصريين
من اكابر اصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له .
عاقل الاندلسى :

كان مالك يسميه عاقل الاندلسى وسبب ذلك فيما يروى انه كان
فى مجلس مالك مع جماعة من اصحابه، فقال قائل : قد حضر الفيل،
فخرج اصحاب مالك كلهم لينظروا اليه ولم يخرج يحيى، فقال له
مالك : مالك لا تخرج فتراه لانه لا يكون بالاندلس ؟ فقال : انما جئت
من بلدى لانظر اليك واتعلم من هديك وعلمك، ولم اجئى لأنظر الى
الفيل، فاعجب به مالك وسمّاه عاقل أهل الاندلس (٧) .

مكانة يحيى فى الاندلس :

بعد ان اخذ المؤطا من مالك رضى الله عنه عاد يحيى الى
الاندلس، وانتهت اليه الرياسة بها، وبه انتشر مذهب مالك فى تلك

البلاد، وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه، خلق كثير، وأشهر روايات المؤطا واحسنها رواية يحيى بن يحيى الليثى - وكان مع امامته ودينه معظما عند الامراء مكينا، عفيفا عن الولايات متنزها، جلت رتبته عن القضاء، فكان أعلى قدرا من القضاة عند ولاة الامر هناك لزهده فى القضاء وامتناعه منه، -

قال ابو محمد المعروف بابن حزم الاندلسى :

مذهبان انتشرا فى مبدأ امرهما بالرياسة والسلطان : مذهب ابى حنيفة، فانه لما ولى قضاء القضاة ابو يوسف يعقوب صاحب ابى حنيفة - كانت القضاة من قبله، فكان لا يولى قضاء البلدان من اقصى المشرق الى اقصى افريقيه الا اصحابه والمنتتمين اليه والى مذهبه - ومذهب مالك بن انس عندنا فى بلاد الاندلس، فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول فى القضاة ، فكان لا يلى قاضى فى أقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره، ولا يشير الا باصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع الى الدنيا، فاقبلوا على ما يرجون بلوغ اغراضهم به، على ان يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط ولا اجاب اليه، وكان ذلك زائدا فى جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم - (٨) .

يحيى بن يحيى - فقاھتھ، وجلالته :

حكى أحمد بن ابى الفياض فى كتابه قال : كتب الأمير عبدالرحمن بن الحكم الاموى المعروف بالربضى صاحب الاندلس الى الفقهاء ليستدعيهم اليه، فاتوا الى القصر، وكان عبدالرحمن المذكور قد نظر فى شهر رمضان الى جارية له كان يحبها حباً شديداً، فعبث بها، ولم يملك نفسه أن وقع عليها ثم ندم ندماً شديداً، فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته، فقال يحيى بن يحيى : يكفى ذلك بصوم شهرين متتابعين ، فلما بدر يحيى بهذه الفتيا سكت بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده، فقال بعضهم لبعض وقالوا ليحيى : مالك

لم تفتته بمذهب مالك، فعنده انه مخير بين العتق والطعام والصيام ؟
فقال : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ،
ولكن حملته على اصعب الامور لثلا يعود - (٩) .
رحلة ثانية الى المدينة :

لما انفصل يحيى عن مالك ليعود الى بلاده ووصل الى مصر، رأى
عبدالرحمن بن القاسم يدون سماعه عن مالك، فنشط للرجوع الى
مالك ليسمع منه، المسائل التي كان ابن القاسم دونها عنه، - فرحل
رحلة ثانية، فالفى مالكا عليلاً ، فاقام عنده الى ان مات وحضر جنازته،
فعاد الى ابن القاسم وسمع منه، سماعه من مالك .

ذكر ابو الوليد ابن الفرضى : انصرف يحيى بن يحيى الى الاندلس
فكان امام وقته ، وواحد بلاده، وكان رجلا عاقلا -

قال محمد بن عمر بن لبابه : فقيه الاندلس عيسى بن دينار،
وعالمها عبدالملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى ، وكان يحيى
ممن اتهم ببعض الامر فى الهيج (١٠)، فخرج الى طليطلة، ثم استأمن
فكتب له الامير الحكم امانا، وانصرف الى قرطبة، وكان أحمد بن خالد
يقول : لم يعط احد من اهل العلم بالاندلس، منذ دخلها الاسلام من
الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى -

قال ابن بشكوال : كان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة ، وكان قد
أخذ فى نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك رضى الله عنه .

وحكى عنه، انه قال : اخذت ركاب الليث بن سعد فاراد غلامه ان
يمنعنى فقال : دعه - ثم قال لى الليث : خدمك اهل العلم ، فلم تزل
بى الايام حتى رأيت ذلك (١١) .

وفات يحيى بن يحيى :

قال ابن بشكوال : توفى يحيى بن يحيى فى رجب سنة اربع
وثلاثين ومائتين، وقبره بمقبرة ابن عباس (رضى الله عنه) ، وهذه

المقبرة بظاهر قرطبة - وزاد ابو عبدالله الحميدى فى كتاب ,, جذوة المقتبس ,, ان وفاته كانت لثمان بقين من الشهر المذكور، وقال ابو الوليد ابن الفرضى فى تاريخه : انه توفى سنة ثلاث وثلاثين، وقيل سنة اربع وثلاثين فى رجب (١٢).

(٢) ابن عبدالبر الأندلسى :

هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي - كنيته ابو عمرو يلقب بجمال الدين، ينتهى نسبه الى النمر بن ساقط ابن هنب بن افضى بن دعوى بن جديله بن أسد بن ربيعه بن نزار، فهو من بنى عدنان، نسبه عربى صريح أصيل، - وقد نزلت بطون ربيعة باقليم وادى آش من بلاد الأندلس ، واشتهر هذا المكان باسمهم كما اشتهرت عدة أماكن باسماء القبائل العربية الاخرى التى نزلت بها ابان الفتح الاسلامى وبعده (١٣) .

مولده : ولد ابو عمر يوسف بن عبدالله رحمه الله زوال يوم الجمعة والامام يخطب وهو اليوم الخامس والعشرون من ربيع الثانى سنة ثمان وستين وثلاثمائة هجرية الموافق للتاسع والعشرين نوفمبر من السنة الشمسية، حدث بذلك عنه، طاهر بن مفوز فقال : ارانيه ابو عمر مكتوبا بخط والده عبدالله رحمه الله - وقد كان والده من الشعراء البارعين . وأهل الترسل والأدب - ويقال انه لم يأخذ عن والده، لأن هذا مات قبل ان يشب ابو عمر ويبلغ سنّ التعليم (١٤) .

نبذة من مدينة قرطبة التى نشأ فيها ابو عمر :

نشأ أبو عمر فى مدينة قرطبة وقد كانت يومئذ عاصمة الخلافة بالاندلس وسرير الملك ، ومدينة العلم والفضل والحضارة، احتضنت فطاحل العلماء من كل فن، وكانت مستقر السنة والجماعة، نزلها جملة من التابعين وتابعى التابعين - وقيل ان بعض الصحابة نزلها - والله اعلم .

وقد سطح في افقها نجوم المعرفة من كل فن ، والذين لاشغل لهم
 الآ التبحر في شتى انواع المعرفة، فازدهرت لذلك فنون الآداب
 والعلوم - وأصبحت مركز الحضارة الاسلامية في المغرب ، وقبلة الانام
 فيه، ولكثرة علمائها واشتهار اهلها بالتمسك بالسنة ، صار عملها
 حجة في بلاد المغرب، فكانوا يحكمون بما جرى به عمل أهل قرطبة،
 وكان الناس يشدون الرحال اليها لرواية الحديث، ودراسة الفقه
 والادب والفلسفة ومختلف العلوم، كالطب والهندسة والفلك وغيرها .
 وقد امتاز الاندلسيون جميعا، وبصفة أخص أهل قرطبة بالحرص
 على طلب العلم والتفاني في افتناء الكتب ومن ثم انتشرت المكتبات
 في سائر الأوساط - وكثر الوراقون والنساخ، وتنافس الناس في افتناء
 نوادير المخطوطات وتباهوا بامتلاك المخطوط الفلاني، والكتاب
 الفلاني، وصار ذلك عندهم من مفاخر الأسرة وأمجادها - .

وأصبح العلماء عند اهل قرطبة مكان التبجيل والتعظيم والتوقير
 والاحترام ، يشار اليهم بالبنان، ويحال عليهم عند اخذ الرأي، ويقال
 لهم الثناء باللسان، يكرم جوارهم وتقضى حوائجهم ، ويؤخذ في
 المهمات رأيهم وهم المرجع عند الحل والعقد -

في هذا الافق العلمي الزكي شبّ ونشأ وترعرع أبو عمر يوسف بن
 عبدالبر رحمه الله - وفيه تفقه وأخذ عن كثير من فطاحل العلماء
 وفحول السنة، وكتب بين أيديهم، ولازمهم وداب في طلب العلم ، سيما
 الفقه والحديث، فقد تفنن فيه وبرع براعة فاق فيها من تقدّمه من
 رجال الاندلس ، فاتقن علوم السنة والقرآنة ضبطا وحفظا وفهما - حتى
 حاز لقب حافظ المغرب بدون منازع -

كان ابن عبدالبر ناصرا للسنة، مستقل الفكر ، بعيدا عن الجمود،
 ومن ثمّ كان يبغض التقليد ، فهو مجددّ بارع في الفقه والحديث -

مجتهد فى استنباط المسائل الفقهيّة والأحكام - ذو بسطة فى الاستدلال والحجّية على آرائه وفهمه - وهذا ما يدركه القارئ فى كتابى ,,التمهيد,, و ,,الاستذكار,, وغيرهما من مؤلفاته القيّمة - فهو يمحّص آراء الأئمة المجتهدين فيقبل ويرفض ويرجح، ويستدل لرايه بالسنة ويقارع الحجّة بالحجّة ، لا يرفض قولاً إلاّ عن بيّنة، ولا يرجح رأياً إلاّ ببرهان - ومن ثمّ أصبح رايه حجّة عند الخاصة من اهل العلم، وأصبح علماً بين المجتهدين من الفقهاء والمحدثين - ومفخرة من مفاخر المغرب على المشرق .

شيوخه : اخذ الحافظ ابو عمر بن عبدالبر عن الجهابذة من كبار علماء الأندلس، وقد كانت قرطبة كعبة القاصدين من انحاء المعمورة شرقاً وغرباً ومن ثمّ كانت مقراً لقطاع من أئمة العصر فى جميع الفنون - ومن اكابر شيوخ الامام ابن عبدالبر رحمه الله .

(١) - خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ الأندلسى المتوفى ٣٩٣هـ .

(٢) - عبدالوارث بن سفيان بن حبرون ، لازم قاسم بن أصبغ بضع سنين وسمع من القاضى بن ذرب وابن أبى دليم وغيرهم - اثنى عليه ابن عبدالبر وقال : انه حدث بعلم جم -

(٣) - عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن ، رحل الى العراق وغيرها، وسمع من اكابر العلماء، وأصبح من اكابر المحدثين والفقهاء بالاندلس، توفى رحمه الله ٣٩٠هـ .

(٤) - محمد بن عبدالملك بن صيفون الرصافى ، ابو عبدالله ، أخذ عن أبى سعيد بن الاعرابى وغيره - كان من الأعلام المشهورين -

(٥) - أبو محمد عبدالله بن محمّد بن عبدالرحمن بن أسد الجهنى البزار، سمع بالاندلس، ورحل الى الحجاز والشام ومصر، فسمع من أهلها، وصار من العلماء الأفاضل -

(٦) — الحسين بن عبدالله بن يعقوب البيجاني أبو علي ، روى عن سعيد بن مخلوف كتاب عبدالملك بن حبيب وعنه، أخذ ابن عبدالبر و ابو العباس أحمد بن عمر العذري .

(٧) — ابو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن الجسور الاموى ولاء، - سمع أبا علي الحسن بن سلمة، وأبى بكر أحمد بن الفضل الدينورى، ووهب بن مسرة ومحمد بن معاوية القرشى وقاسم بن أصبغ، وسمع منه خلق كثير، من اجلهم أبو محمد علي بن أحمد وابن عبدالبر كانت وفاته، رحمه الله ٤٠١هـ .

(٨) — ابو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلف الاندلسى ، رحل فى طلب العلم، ودخل الى خراسان، سمع من أبى سعيد بن الأعرابى، واسماعيل الصفار، وبالأندلس من قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وغيرهم، توفى رحمه الله ببخارى .

(٩) — أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن التاهرتى البزار ، يكنى ابا الفضل ولد بتاهرت، وانتقل مع والده وهو طفل الى الأندلس، فنشأ بها، واخذ العلم عن رجالها، حتى صار علما من الأعلام، سمع من ابن أبى دليم وقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة ، وعنه، أخذ ابو عمران الفاسى وابو يوسف ابن عبدالبر كان ثقة فاضلا رحمه الله .

(١٠) — ابو عمر أحمد بن محمد بن عبدالله الطلمنكى ، وطمنكه بلدة بالأندلس، نشأ بها ابو عمر هذا، وقد كان امام فى القرآت - رحل فسمع من ابى بكر محمد بن يحيى الدمياطى، روى عنه، ابو محمد بن حزم وابو عمر ابن عبدالبر - رحمهم الله - .

(١١) — ابو عمر أحمد بن عبدالملك الاشبيلى المعروف بابن المكوى، انتهت اليه رئاسة الفتوى بقرطبة فى عهده - وآلف بالاشتراك مع أبى مروان المعيطى كتاباً فى أقوال الامام مالك، بأمر

من المنصور بن أبي عامر، وقد لازمه ، ابن عبد البر وأخذ عنه، كثيرا -
ومن جلة شيوخه غير هؤلاء من الاندلسيين، ابو مطرف القنازعي،
والقاضي يونس بن عبدالله ، وابو الوليد بن الفرضي وأحمد بن فتح
الرسالن ويحيى بن وجه الجنة (١٥) .

رحلاته : لم يغادر ابو عمر بلاد الأندلس ولكنه تنقل في
ارجائها شرقا وغربا، فسكن دانية وبلنسية وشاطبة ، وتولى قضاء
اشبونة التي هي عاصمة دولة البرتغال اليوم ، وكذلك تشتري ايام
ملكها ابن الافطس .

أما اشبيلية فقد نزلها، ولم يرقه المقام بها - نظرا لما قوبل به من
أهلها جفوة وتنكر، فارتحل منشدا ،

تنكر من كنا نسرّ بقربه

وعاد زعاقا بعدما كان سلسلا

وحق لجار لم يوافقه جاره

ولآ لامته الدار ان يتحولا

بليت بحمص (١٦) والمقام ببلدة

طويلا لعمرى مخلق يورث البلا

اذا هان حرّ عند قوم اتاهم

ولم ينا عنهم كان أعمى وأجهلا

ولم تضرب الامثال الا لعالم

وما عوتب الانسان الا ليعقلا (١٧) .

مؤلفاته : ألف ابن عبد البر مؤلفات كثيرة - قال صاحب كشف
الظنون : من تصانيفه :

- (١) آداب العلم .
- (٢) الاجوبة الموعبة على المسائل المستغربة من صحيح البخارى .
- (٣) الاستذكار لمذاهب أئمة الامصار .

- (٤) الاستيعاب فى معرفة الاصحاب .
- (٥) الاكتفاء فى قرآة نافع وأبى عمرو .
- (٦) الانباء عن قبائل الرواة .
- (٧) الانتهاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء .
- (٨) الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف .
- (٩) بهجة المجالس وانس الجالس .
- (١٠) البيان فى تأويلات القرآن .
- (١١) التفصى بحديث الموطا .
- (١٢) التمهيد لما فى المؤطا من المعانى والاسانيد .
- (١٣) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله .
- (١٤) الدرر فى اختصار المغازى والسير (١٨) .

قال صاحب التذكرة حافظ الذهبى : من تصانيفه :

- (١) كتاب الكنى .
- (٢) كتاب القصد والامم فى انساب العرب والعجم .
- (٣) كتاب الشواهد .
- (٤) كتاب الانصاف فى اسماء الله تعالى .
- (٥) كتاب الفرائض (١٩) .

والذى آراه : ان كتابه : ,,الكافى فى فقه اهل مدينة المالكى ,, هو من اهم مصنفاته، ما ذكره الذهبى فى تذكرته، وهكذا ضرب عن ذكره حاجى خليفة -

اما تواليف ابن عبدالبر فكلها مفيدة ، لها قدر ومكانة جليلة عند العلماء والفقهاء - نذكر هنا عن مؤلفاته الفقهية موجزا -

(١) التمهيد لما فى المؤطا من المعانى والاسانيد :

كتاباً جليلاً مفيداً، قال ابن خلكان فى حقه : ,,ألف ابن عبدالبر فى المؤطا كتباً مفيداً - منها كتاب ,,التمهيد لما فى المؤطا من المعانى

والاسانيد، - رتبة على اسماء شيوخ مالك على حروف المعجم - وهو كتاب لم يتقدمه احد الى مثله (٢٠) .

قال ابن حزم : لا اعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله فكيف احسن منه ، قال ابن عبدالبر فى وصف هذا الكتاب :

سمير فؤادى من ثلاثين حجة

وصاقل ذهنى والمفرج عن همى

بسطة لهم فيه كلام نبيهم

لما فى معانيه من الفقه والعلم

وفيه من الآداب ما يهتدى به

الى البرّ والتقوى ونهى عن الظلم (٢١) .

(٢) الاستذكار :

،،الاستذكار، شرحه على المؤطا - قال حاجى خليفة : له كتاب التمهيد.....اختصره وسمّاه الاستذكار . والذى أراه ، : ان الاستذكار هو كتاب مستقل شرح فيه المؤطا على وجهه - كما قال ابن خلكان : صنع ابن عبدالبر كتاب الاستذكار لمذاهب علماء الامصار فيما تضمنه المؤطا من معانى الرأى والآثار - شرح فيه المؤطا على وجهه ونسق ابوابه (٢٢) .

(٣) الكافى فى فقه اهل المدينة المالكى :

كان ابن عبدالبر افقه أهل الاندلس كما كان احفظهم عندهم ابو الوليد الباجى - وهذا ما يدركه القارئ بعد ان يقرأ كتابه الكافى - قال عن تأليف هذا الكتاب :

،،ان بعض اخواننا من أهل الطلب والعناية والرغبة فى الزيادة من

التعلم سألتنى أن اجمع له كتاباً مختصراً فى الفقه يجمع المسائل التى

هى أصول وامهات لما يبنى عليها من الفروع والبيانات فى فوائد

الاحكام ومعرفة الحلال والحرام، يكون جامعا، مهذبًا وكافيا مقربا و مختصرا مبوبا ليستذكر به عند الاشتغال وما يدرك الانسان من الملل - ويكفى عن المؤلفات الطوال ويقوم مقام المذاكرة عند عدم المدارس، فرأيت ان اجيبه الى ذلك لما رجوت فيه من عون العالم المقتصر، ونفع الطالب المسترشد التماسا لثواب الله عزوجل فى تقريبه على من اراده، واعتمدت فيه على علم اهل المدينة وسلكت فيه مسلك مذهب الامام ابى عبدالله مالك بن انس رضى الله عنه (٢٣) .
وفات ابن عبدالبر :

توفى الحافظ ابو عمر يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين واربعمئة بمدينة شاطبه من شرق الاندلس - صلى عليه صاحبه ابو الحسن طاهر بن مفوز المعافرى -
قال ابن خلكان : كان أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى حافظ الشرق ، وكان ابن عبدالبر حافظ المغرب ، ماتا فى سنة واحدة (٢٤).

٣) قاضى ابو الوليد الباجى :

الحافظ العلامة ذو الفنون ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد ابن ايوب بن وارث التجيبى القرطبى الذهبى - اصله من مدينة بطليوس فانتقل جدّه الى باجة المدينة التى بقرب اشبيلية، فنسب اليها - وليس هو من باجة القيروان التى ينسب اليها الحافظ ابو محمد الباجى - ولد ابو الوليد سنة ثلاث واربعمئة - (٢٥) .

شيخه : حمل ابو الوليد عن يونس بن عبدالله القاضى ومكى بن ابى طالب ومحمد بن اسماعيل وابى ابكر محمد ابن الحسن بن عبدالوارث، وارتحل سنة ست وعشرين فحج وجاور ثلاثة اعوام ملازما لأبى ذر الحافظ، وكان يسافر معه الى سراة بنى شبايه ويخدمه - ثم رحل الى بغداد ودمشق ففاته ابو القاسم بن بشران وسمع ابا القاسم بن

الطيبز وعلى بن موسى السمسار والسكن بن جميع الصيداوى وابا طالب عمر بن ابراهيم الزهرى وابا طالب بن غيلان وابا القاسم عبيد الله الازهرى و محمد بن على الصورى وطبقتهم .

وتفقه بالقاضى ابى الطيب الطبرى والقاضى ابى عبدالله الحسين الصيمرى وأبى الفضل ابن عمروس المالكى واقام بالموصل سنة على ابى جعفر السمنانى فأخذ عنه علم العقلیات فبرع فى الحديث وعلمه ورجاله، وفى الفقه وغوامضه وخلافه ، وفى الكلام ومضايقه ، ورجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما بعلم جم حصلة مع الفقر والتعفف (٢٦) .
أصحابه : روى عنه الحافظان ابوبكر الخطيب وابو عمر بن عبدالبر وهما اكبر منه وابو عبدالله الحميدى وعلى بن عبدالله الصقلى وأحمد بن على بن غزلون والحافظ ابو على الصدفى وولده الامام ابو القاسم أحمد بن ابى الوليد الزاهد وابوبكر الطرطوشى وابو على بن سهل السبتي وابو بحر سفيان بن العاص ومحمد بن ابى الخير القاضى وخلق سواهم ، وتفقه به الاصحاب .

قال القاضى عياض : آجر ابو الوليد نفسه ببغداد لحراسة درب وكان لما رجع الاندلس يضرب ورق الذهب للغزل ويعقد الوثائق ، قال لى اصحابه : كان يخرج الينا للاقراء وفى يده اثر المطرقة ؛ الى ان فشا علمه وهيئت الدنيا له وعظم جاهه واجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر ، وكان يستعمله الاعيان فى ترسلهم ويقبل جوائزهم (٢٧) . ولى القضاء بموضع من الاندلس ، وصنف كتاب المنتقى فى الفقه ، وكتاب المعانى فى شرح المؤطا ، جاء فى عشرين مجلدا عديم النظير ، قال : وقد كان صنف كتابا كبيرا جامعا بلغ فيه الغاية سماه كتاب الاستيفاء وله كتاب الايما فى الفقه خمس مجلدات وكتاب السراج فى الخلاف لم يتم، ومختصر المختصر فى مسائل المدونة ، وله كتاب اختلاف

المؤطات ، وكتاب فى الجرح والتعديل، وكتاب التسديد الى معرفة التوحيد ، وكتاب الاشارة فى اصول الفقه، وكتاب احكام الفصول فى احكام الاصول ، وكتاب الحدود ، وكتاب شرح المنهاج، وكتاب سنن الصالحين وسنن العابدين، وكتاب سبيل المهتدين، وكتاب فرق الفقهاء ، وكتاب التفسير لم يتم، وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج (٢٨) .

آراء العلماء فى حقه :

قال ابو نصر بن ماكولا : اما الباجى ذو الوزارتين ، ابو الوليد فقيه متكلم اديب شاعر سمع بالعراق ودرس الكلام وصنف - الى ان قال : كان جليلا رفيع القدر والخطر، قبره بالمرية -

قال ابو على ابن سكرة : مارأيت مثل ابى الوليد الباجى وما رأيت احدا على سمته وهيئته وتوقير مجلسه، ولما كنت ببغداد قدم ولده ابو القاسم فسرت معه الى شيخنا قاضى القضاة الشامى فقلت له : ادام الله عزك هذا ابن شيخ الاندلس ، فقال : لعله ابن الباجى ؟ قلت : نعم فاقبل عليه -

قال القاضى عياض : كثرت القالة فى ابى الوليد لمداخلته للرؤساء ، ولى قضاء اماكن تصغر عن قدره كاوربوله ، فكان يبعث اليها خلفاءه وربما اتاها المرة ونحوها، وكان فى اول مرة مقلا حتى احتاج فى سفره الى القصد بشعره واستجار نفسه مدة مقامه ببغداد فى ماسمعه مستفيضا لحراسة درب ، وقد جمع ابنه شعره وكان ابتداء كتاب الاستيفاء فى الفقه لم يصنع منه سوى كتاب الطهارة فى مجلدات (٢٩) .

قال الخطيب : انشدنى ابو الوليد الباجى لنفسه، ويرثى ابنه وماتا

مقترنين :

لئن غيبًا عن ناظرى وتبّوأ

فوادى لقد زاد التباعد فى القرب

يقرّ بعينى أن ازور تراهما
والصق مكنون الترائب بالترب

وقال مرة :

إذا كنت اعلم علما يقينا
بأن جميع حياتى كساعة
فلم لا اكون ضنينا بها
واجعلها فى صلاح وطاعة (٣٠).

مجالسة مع ابن حزم :

قال القاضى عياض : لما قدّم ابو الوليد الاندلس وجد لكلام ابن
حزم طلاوة الا انه كان خارجا عن المذاهب ولم يكن بالاندلس من
يشتغل بعلمه، فقصرت السنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على
رأيه جماعة من اهل الجهل وحلّ بجزيرة ميورقة فرأس بها واتبعه
اهلها، فلما قدّم ابو الوليد كلموه فى ذلك فرحل اليه وناطره وشهر
باطله ، وله معه مجالس كثيرة، ولما تكلم ابو الوليد فى حديث الكتابة
يوم الحديدية الذى فى البخارى قال بظاهر لفظه فانكر عليه الفقيه
ابوبكر ابن الصائغ وكفره باجازه الكتب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم (النبي الامى) وأنه تكذيب بالقرآن، فتكلم فى ذلك من لم يفهم
الكلام حتى اطلقوا عليه الفتنه وقبحوا عند العامة ما اتى به وتكلم به
خطباءهم فى الجمع وقال شاعرهم :

برئت ممن شرى ديننا باخرة

وقال ان رسول الله قد كتبنا (٣١).

صنّف ابو الوليد رسالة بينّ فيها ان ذلك غير قادح فى المعجزة ، فرجع
بها جماعة - قال الذهبى : ما كل من عرف ان يكتب اسمه فقط
بخارج عن كونه اميّا - لانه يسمى كاتباً، وجماعة من الملوك قد ادمنوا

فى كتابة العلامة وهم اميون ، والحكم للغلبة لا للصورة النادرة، فقد قال عليه السلام : انا امة امية ، اى اكثرهم كذلك لندور الكتابة فى الصحابة - وقال تعالى : هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم - (٣٢). وفاته : توفى بالمرية ليلة الخميس بين العشائين تاسعة عشرة رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة ، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر بالرباط ضفة البحر، وصلى عليه ابنه القاسم - (٣٣) .

(٤) ابن حزم الظاهري :

ابو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن ابي سفيان بن صخر بن حرب بن اميه بن عبد شمس الاموى ، وجدّه يزيد اول من اسلم من اجداده، واصله من فارس ، وجدّه خلف اول من دخل الاندلس من آباءه - ولد بقرطبة من بلاد الاندلس يوم الاربعاء قبل طلوع الشمس سلخ شهر رمضان سنة اربع وثمانين وثلاثمائة فى الجانب الشرقى منها - (٣٤) .

مكانة ابن حزم عند العلماء :

قال ابو مروان ابن حيان الاندلسى وهو معاصر ابن حزم ولد قبله ومات بعده :-

،، كان ابو محمد حامل فنون ، من حديث و فقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة فى كثير من انواع التعاليم القديمة، من المنطق والفلسفة وله فى بعض تلك الفنون كتب كثيرة، وكان يحمل علمه هذا ويجادل عنه، من خالفه فيه - ولا يدع المثابرة عليه والمواظبة على التأليف والآثار من التصنيف ، حتى كمل من مصنفاته فى فنون من العلم وقربيعر، ان تحرك بالسؤال تفجر منه بحر علم لا تكدره الدلاء ، ولا يقصر عنه الرشاء ، ولأبى محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من

اولى المذاهب المرفوضة من اهل الاسلام مجالس محفوظة، واخبار
مكتوبة - (٣٥) .

قال القاضى صاعد بن أحمد الاندلسى (م ٤٦٢هـ) وهو تلميذ ابن
حزم :

كان ابو محمد بن حزم أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام
وأوسعهم معرفة مع توسّعه فى علم اللسان ووفور حظه من البلاغة
والشعر والخطابة، والمعرفة بالسير والاخبار ، واخبرنى ابنه ابو رافع
الفضل بن على : أنه اجتمع عنده بخط ابيه من تأليفه نحو من اربعمائة
مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة فى الفقه والحديث
والاصول والنحل والملل، وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب،
والرد على المعارض وهذا شىء ما علمناه لأحد ممن كان قبله فى
دولة الاسلام - الآ لابن جرير الطبرى - (٣٦) .

قال ابن بسام الاندلسى (م ٥٤٢هـ) :
كان ابن حزم كالبحر لا تكف غواربه ولا يروى شاربته، وكالبدر
تحمد دلائله ولا يمكن نائله - قال ايسع بن حزم الغافقى الاندلسى
(م ٥٧٥هـ) :

اما محفوظ ابى محمد فبحر عجاج ، وماء ثجاج، يخرج من بحره
مرجان الحكم وينبت بشجاجة القاف النعم فى رياض الهمم - لقد
حفظ علوم المسلمين وأربى على اهل كل دين -
قال الحافظ ابن كثير (م ٧٧٤هـ) :

ابن حزم الظاهرى الامام الحافظ العلامة، اشتغل بالعلوم الشرعية
النافعة وبرز فيها ، وفاق أهل زمانه ، وصنّف الكتب المشهورة ، وكان
اديبا طبيبا ، شاعرا فصيحاً - له فى الطب والمنطق كتب وكان من بيت
وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة - (٣٧) .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢هـ):

ابن حزم الفقيه الحافظ الظاهري صاحب التصانيف ، اشتغل في صباه بالادب والمنطق والعربية ثم اقبل على العلم وكان واسع الحفظ جداً - (٣٨) .

ابن حزم رجل في امة وامة في رجل ، هو مفسر مع المفسرين ، ومُحدِّث مع المُحدِّثين ، وحافظ مع الحُفَاط وفقيه مع الفقهاء ومقرى مع المقرئين واصولى مع الاصوليين ، ومتكلّم مع المتكلّمين ، وفيلسوف مع الفلاسفة ، وحكيم مع الحكماء وزاهد مع الزّهاد ، وعابد مع العباد ، وداع الى الله مع الدُّعاة ، واديب مع الادباء ، ولغوى مع اللغويين وكاتب مع الكُتّاب ، وشاعر مع الشعراء وخطيب مع الخطباء ومؤرخ مع المؤرخين ورئيس مع الرؤساء ووزير مع الوزراء وحاكم مع الحكام - .

ليس على الله بمستبعد ان يجمع العالم فى واحد

ابن حزم جامعة متنقلة وهى حى بين مدائين الاندلس وجزائرها وقرها : قرطبة وشاطبة وبلنسية ، ومالقة ، والمريّة ودانية وبيجانة وشلب وجزيرة ميورقة وقرى ليلة الحمراء واوينة ومتلجتم .

فقد درّس على كراسى مساجدها الجامعة : علوم الشريعة وعلوم الفلسفة ، وعلوم الآداب ، وعلوم الاديان المقارنة وعلم الطب .

ابن حزم - قد مضى على خروجه للدنيا الف عام - بقى جامعة متنقلة بين مشارق الأرض ومغاربها وبين قاراتها الخمس بمؤلفاته ومدوناته ورسائله ، الكبيرة والوسطى والصغيرة فى جميع علوم الاسلام وآدابه وفنونه ، وجامعة متنقلة بمذهبه ونظرياته وآراءه وسيبقى جامعة متنقلة مابقى فى الدنيا عالم وطالب ومابقى قلم وقرطاس - الى ان يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ابن حزم من حيث المجتهد :

ابن حزم كما هو امام فى كل علوم الاسلام ، هو مجتهد من مجتهدى أئمة المسلمين ، فى التفسير والحديث والفقہ، قد استكمل جميع ادوات الاجتهاد ، من علم كامل ، وادب شامل واصول عامة مع فهم صائب وذكاء. غالب فى تقى وورع وصلاح - وهو صاحب مذهب من مذاهب اهل السنة والجماعة، له اصوله، وقواعده، ومبادئه وأهدافه، وله كتبه ورسائله و مُدَوِّنَاتِه ، مطوّلة ووسيطّة ومختصرة - وله التلاميذ والاتباع والانصار، والدعاة اليه بين القدامى والمحدثين - ترجم لهما منهم عشرات ، وخصّه بالترجمة من بينهم علماء وادباء اعلام - ومؤلفات ابن حزم تعتبر المرجع والحجة منذ الف سنة، اعتمدها أئمة من المشرق وأئمة من المغرب ، فيما الفوه او درسوه أو قضاوا به او حكموا فيه أو نقلوه من مذاهب .

وقد اعترف لابن حزم بالاجتهاد المطلق فى الفقه وعلوم الاسلام طائفة من العلماء، فيهم معاصروه وتلاميذه، ومن جاء بعدهم مشرقا ومغربا - فمن الاندلس والمغرب الحافظ الحميدى (٤٢٠ - ٤٨٨هـ) هو معاصر له وتلميذه .

قال :

كان ابو محمد بن حزم حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا للاحكام من الكتاب والسنة - متقنا فى علوم جمّة، عاملا بعلمه، زاهدا فى الدنيا بعد الرياسة التى كانت له ولأبيه قبله - فى الوزارة وتدير الممالك ، متواضعا ذا فضائل جمّة، وتوايف كثيرة، فى كل ما تحقق به من العلوم وجمع من الكتب فى علم الحديث والمصنفات والمسندات كثيرا، وسمع سماعا جما وما رأينا مثله ، فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس، والتدين وكان له فى الآداب والشعر

نفس واسع، وباع طويل - ما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه ، -

قال ابن بشكوال فى حقّه : كان ابو محمد أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار (٣٩).
تواليف ابن حزم :

الف ابن حزم فى فقه الحديث كتابا سماه ,, الايصال الى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام فى الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع,, - اورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فى مسائل الفقه، والحجة لكل طائفة وعليها - وهو كتاب كبير - وله كتاب ,, الاحكام فى اصول الاحكام ,, فى غاية التقصى وايراد الحجج وكتاب ,, الفصل فى الملل فى الآهواء والنحل,, وكتاب فى الاجماع ومسائله على ابواب الفقه، وكتاب فى مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض، وكتاب ,, اظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا ياحتمل التأويل ,, وهذا معنى لم يسبق اليه - وكتاب ,, التقريب بحد المنطق والمدخل اليه بالالفاظ العامة والأمثلة الفقهية ,, - فانه سلك فى بيانه وازالة سوء الظن عنه، وتكذيب المخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله ، -

أما مؤلفات ابن حزم فكلها معروفة عند العلماء يعتمد عليها ولكن نحن نذكر هنا عن كتابه ,, المحلى ,, لأن بصيرته، الفقهية واجتهاده تعرف عن هذا المؤلف -

كتاب المحلى :

ما رأيت فى كتب الاسلام مثل : المحلى لابن حزم والمغنى لابن قدامة - كلمة قالها العزّ الدين بن عبدالسلام الدمشقى

(٥٧٢ - ٦٦٠ هـ) - سلطان العلماء وامام الشافعية المجتهد - (٤٠) .

كتاب المحلى هو واحد من كتب اربعة لابن حزم ، دَوَّن فيها فقهه ومذهبه : الايصال ، وهو اكبرها ، والخصال أوسطها والمحلى ، يليها ، والمجلى ، أصغرها -

فالمجلى : مسائله الفقهية مختصرة -

والمحلى : شرح مختصر على المجلى - وسمّاه الذهبى فى

سير النبلاء : كتاب المحلى بالآثار فى شرح المجلى بالاختصار . -
والخصال : أصل للايصال، وسمّاه الذهبى فى سير

النبلاء : كتاب الخصال الحافظ لجمل شرائع الاسلام فى مجلدين -
والايصال : شرح على الخصال مبسط ومفصل .

وقد تحدّث ابن حزم عن هذه الكتب فى كتابه المحلى فقال - عن

المجلى والمحلى مخاطبا طلابه المبتدين :

وفقنا الله وإياكم لطاعته ، فانكم رغبتم : أن تعمل للمسائل المختصرة التى جمعناها فى كتابنا المرسوم : بالمحلى شرحا مختصرا ايضا، نقتصر فيه على قواعد البراهين بغير اكثار ، ليكون مأخذه سهلا على الطالب والمبتدئ ودرجا له الى التبحر فى الحجاج، ومعرفة الاختلاف وتصحيح الدلائل المؤدية الى معرفة الحق ، مما تنازع الناس فيه ، والاشراف على أحكام القرآن، والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمييزها مما لم يصح، والوقوف على الثقات من رواة الاخبار، وتمييزهم من غيرهم، والتنبيه على فساد القياس وتناقضه، وتناقض القائلين به (٤١) .

وقال عنه ، ايضا فى ثنايا مسائله واسفاره وانما كتبنا كتابنا هذا

للعامى والمبتدئ وتذكرة للعالم -

وقال عن الايصال فى ثنايا المحلى : فكل ما روى فى ذلك - من

نصوص القرآن والسنة والاجماع - منذ اربعمائة عام ونيف واربعين

عاما، من شرق الارض الى غربها، قد جمعناه فى كتابنا الكبير المعروف : بكتاب الايصال .

وتحدث تلميذه الحافظ الحميدى عن الايصال وأصله الخصال، فقال :
 ,,والف - ابن حزم - فى فقه الحديث كتابا كبيرا ، سماه : ,, كتاب
 الايصال الى فهم كتاب الخصال ، الجامعة لجمل شرائع الاسلام فى
 الواجب والحلال والحرام، وسائر الاحكام على ما اوجبه القرآن والسنة
 والاجماع ,, - قال الحميدى : أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ، ومن
 بعدهم من أئمة المسلمين فى مسائل الفقه ، والحجة لكل طائفة وعليها،
 والاحاديث الواردة فى ذلك، من الصحيح والسقيم بالاسانيد، وبيان
 ذلك كله، وتحقيق القول فيه - (٤٢).

وذكر القاضى صاعد معاصر ابن حزم : انه رأى كتاب الايصال فى
 اربعة وعشرين مجلدا، بخط مؤلفه ابن حزم - وكان فى غاية الادماج -
 يريد بالادماج : الخط الدقيق المرصوص، الذى لو كتب بخط أوسع،
 لأخذ مسافة أكبر - وبلغ مجلدات اكثر - (٤٣) .

قال الذهبى فى سير النبلاء : كتاب الايصال فى خمسة وعشرين
 الف ورقة - (٤٤) .

وذكر الحاج خليفة أن : كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع
 الاسلام فى الواجب والحلال والحرام فى مجلد لابن حزم ، وشرحه له،
 سماه: الايصال الى فهم كتاب الخصال - قال : وهو شرح كبير، اورد
 فيه اقوال الصحابة ومن بعدهم من الأئمة فى مسائل الفقه ودلائله -
 وقد اعتنى بالمحلى جماعة من العلماء ، فاختصروه ، ونقدوه
 وحشوا عليه -

اختصره ابو حيان المفسر الاندلسى المصرى، قال الحافظ : سماه
 النور الأجلى فى اختصار المحلى - وقال خليفة : سماه الأنور
 الاعلى - (٤٥) ولعل فى تسمية خليفة تصحيفا -

وفات ابن حزم :

رحل ابن حزم رحمه الله الى دار الآخرة بأونبه، قرية فى غربى الاندلس على خليج البحر المحيط - كما كتب ابنه ابو رافع الفضل بخطه - عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان - كان عمره رحمه الله احدى وسبعين سنة وعشرة اشهر وتسعة وعشرين يوما - (٤٦) .

(٥) الشاطبى :

ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطى ابو اسحاق الشهير بالشاطبى، الامام ، العلامة، المحقق، القدوة ، الحافظ الجليل ، المجتهد، كان اصوليا ، مفسرا، فقيها، مُحدثا ، لغويا ، بيانيا ، نظارا ثبنا، ورعا صالحا، زاهدا سنيا ، اماما مطلقا، باحثا مدققا، جدليا بارعا فى العلوم، من افراد العلماء المحققين الاثبات، واكابر الأئمة المتفنين الثقات، له القدم الراسخ والامامة العظمى فى الفنون - فقها واصولا ، وتفسيرا وحديثا وعربية وغيرها - مع التحرى والتحقيق ، له استنباطات جليلة ودقائق منيفة، وفوائد لطيفة، وابحاث شريفة وقواعد محررة محققة، على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحرى والورع - حريضا على اتباع السنة ، مجانبنا للبدع والشبهة ، ساعيا فى ذلك مع تثبت تام ، منحرفا عن كل ما ينحو للبدع واهلها، وقع له فى ذلك امور مع جماعة من شيوخه وغيرهم فى مسائل -

قال الامام الحفيد ابن مرزوق فى حقه : انه الشيخ الاستاذ الفقيه،

الامام المحقق العلامة الصالح ، ابو اسحاق - وناهىك بهذه التحليه

من مثل هذا الامام - وانما يعرف الفضل لأهله اهله، (٤٧) .

شيوخه : اخذ العربية وغيرها من أئمة منهم الامام المفتوح عليه

فى فنها مالا مطعم فيه لسواه، وحفظا وتوجيها، ابن الفخار الألبيرى،

لازمه، ان مات ، والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية، ابو القاسم

السبتي، شارح مقصورة حازم والامام المحقق اعلم اهل وقته، الشريف ابو عبدالله التلمساني، والامام علامة وقته باجماع ابو عبدالله المقرئ، وقطب الدائرة شيخ الجلة الامير الشهير ابو سعيد بن لبّ والامام الجليل الرحلة الخطيب ابن مرزوق الجد - والعلامة المحقق المدرس الاصولي، ابو علي منصور ابن محمد الزواوي، والعلامة المفسر المؤلف ابو عبدالله البنسي، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري، وممن اجتمع معه، واستفاد منه العالم الحافظ ابو العباس القباب، والمفتي المحدث ابو عبدالله الحفاد وغيرهم (٤٨).

اجتهد وبرع، وفاق الاكابر والتحق بكبار الأئمة في العلوم وبالغ في التحقيق، وتكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من شيوخه وغيرهم كالقباب، وقاضي الجماعة الفشتالي، والامام ابن عرفة والولي الكبير ابي عبدالله بن عباد، وجرى له معهم ابحاث ومراجعات، اجلت عن ظهوره فيها قوة عارضته وامامته، منها مسألة مراعات الخلاف في المذهب، فيها له بحث عظيم مع الامامين القباب وابن عرفة، وله ابحاث جلية في التصوف وغيره، وبالجملة فقدرة في العلوم فوق ما يذكر، وتحليلته فوق ما يشهر - (٤٩).

مؤلفاته : ألف تآليف نفيسة، اشتملت على تحريرات للقواعد، وتحقيقات لمهمات الفوائد، منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو، في اسفار اربعة كبار، لم يؤلف عليها مثله بئنا وتحقيقا - وكتاب الموافقات في اصول الفقه سماه ,, عنوان التعريف بأصول التكليف، كتاب جليل القدر لا نظير له يدل على امامته وبعد شاؤه في العلوم، سيما علم الاصول - (٥٠).

قال الحفيد بن مرزوق : كتاب الموافقات من انبل الكتب، وهو في سفرين، وتآليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية

الاجادة، سمّاه „الاعتصام“ ، وكتاب المجالس شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخارى فيه من الفوائد والتحقيقات مالا يعلمه الا الله - وكتاب الافادات والانشادات فى كراسين فيه طرف وتحف، وملح ادبيات وانشادات، وله ايضا كتاب „عنوان الاتفاق فى علم الاشتقاق“ ، - وكتاب اصول النحو، وقد ذكرهما معا فى شرح الالفية - له مصنفات مفيدة وفتاوى كثيرة (٥١).

اصحابه : اخذ عنه ، جماعة من الأئمة الامامين ابى يحيى بن عاصم الشهير، واخيه القاضى المؤلف ابى بكر بن عاصم ، والشيخ ابى عبدالله البيانى وغيرهم .
وفاته : توفى يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبعمائة - (٥٢).

هوامش

- ١ - محمد ابو زهرة ، مالك - حياته وعصره ، ص ٤٦١، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية .
- ٢ - ايضا .
- ٣ - ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد - مقدمة ، ص ٤٤٩ ، بيروت - لبنان ، منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات .
- ٤ - ايضا .
- ٥ - ايضا
- ٦ - ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابى بكر - وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٤٣ .
- ٧ - ايضا .
- ٨ - مالك - حياته وعصره ، ص ٤٦٢ .
- ٩ - وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٤٤ .
- ١٠ - حادثة الرض التى ثار فيها اهل قرطبة على الحكم بن هشام سنة ، ١٩٨ هـ .
- ١١ - ايضا ، ص ١٤٥ .
- ١٢ - ايضا ، ص ١٤٦ .
- ١٣ - محمد عبدالكبير الكبيرى ، مقدمة التحقيق على التمهيد ج ١ ، ص ١٢ ، لاهور ، المكتبة القدوسية .

- ١٤ - ذهبى ابو عبدالله شمس الدين محمد - تذكرة الحفاظ ج ٣ ، ص ١١٢٨ ، حيدرآباد دكن - دائرة المعارف العثمانية .
- ١٥ - وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٦٦ .
- ١٦ - كان اشبيلية تسمى حمصا تشبيها باختها بالشام .
- ١٧ - محمد اعيد بن ماديك الموريتانى ، الدكتور - مقدمة التحقيق على الكافى - ص ٦١ ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة .
- ١٨ - اسماعيل باشا البغدادى - كشف الظنون ، ج ٦ ، ص ٥٥٠ ، بيروت لبنان ، دار الفكر .
- ١٩ - تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١١٢٩ .
- ٢٠ - وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٦٧ .
- ٢١ - محمد محمد أبو زهر ، الحديث والمحدثون ، ص ٢٥٠ ، مصر ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية .
- ٢٢ - وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٦٢ .
- ٢٣ - ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله بن محمد النمرى القرطبى ، الكافى فى فقه اهل مدينة المالكى ، ج ١ ، ص ١٣٢ - الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة .
- ٢٤ - وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٧١ .
- ٢٥ - تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١١٧٨ .
- ٢٦ - ايضا .
- ٢٧ - ايضا .
- ٢٨ - وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .
- ٢٩ - تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١١٢٩ .
- ٣٠ - وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .
- ٣١ - تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١١٢٩ .
- ٣٢ - ايضا .
- ٣٣ - وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .
- ٣٤ - مصطفى أحمد الزرقا ، مقدمة معجم فقه ابن حزم - ج ١ ، ص ١٣ ، دمشق ، مطبعة جامعة .
- ٣٥ - ايضا .
- ٣٦ - ايضا .
- ٣٧ - ايضا .
- ٣٨ - ابن حجر ، أحمد بن على العسقلانى - لسان الميزان ، ج ٤ ، ص ١٩٨ .
- ٣٩ - وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .
- ٤٠ - مقدمة معجم فقه ابن حزم ، ج ١ ، ص ١٥ .
- ٤١ - المحلى لابن حزم ، ج ١ ، ص ٢ .
- ٤٢ - مقدمة معجم فقه ابن حزم ، ج ١ ، ص ١٦ .
- ٤٣ - ايضا .
- ٤٤ - معجم فقه ابن حزم ، ج ١ ، ص ١٢ .
- ٤٥ - كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .

- ٤٦ - وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .
٤٧ - محمد رشيد رضا ، مقدمة على الاعتصام - ص ٢ - مطبع المنار - دار الكتب المصرية .
٤٨ - ايضا .
٤٩ - ايضا .
٥٠ - خير الدين الزركلى - الاعلام - ج ١ ، ص ٧٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
٥١ - مقدمة على الاعتصام - ص ٤ .
٥٢ - ايضا .

